يوم في بيت الرسول

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:





دار القاسم

المقدمة

الحمد لله الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق، والصلاة والسلام على إمام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فإن غالب الناس في هذا الزمن بين غالٍ وجافٍ، فمنهم من غلا في الرسول ﷺ حتى وصل به الأمر إلى الشرك -والعياذ بالله- من دعا الرسول ﷺ والاستغاثة به، وفيهم من غفل عن اتباع هديه ﷺ وسيرته فلم يتخذها نبراسًا لحياته ومعلمًا لطريقه.

ورغبة في تقريب سيرته ودقائق حياته إلى عامة الناس بأسلوب سهل ميسر كانت هذه الورقات القليلة التي لا تفي بكل ذلك. لكنها وقفات ومقتطفات من صفات النبي ﷺ وشمائله، ولم أستقصها، بل اقتصرت على ما أراه قد تفلت من حياة الناس، مكتفيًا عند كل خصلة ومنقبة بحديثين أو ثلاثة، فقد كانت حياته ﷺ حياة أمة وقيام دعوة ومنهاج حياة.. وهو عليه الصلاة والسلام أمة في الطاعة والعبادة، وكرم الخلق وحسن المعاملة، وشرف المقام، ويكفي ثناء الله عز وجل عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وأهل السنة والجماعة يترلون الرسول ﷺ مترلته التي أنزله الله إياها، فهو عبد الله ورسوله وخليله وصفيه، يحبونه أكثر من أولادهم وآبائهم بل أكثر من أنفسهم لكنهم لا يغلون فيه ولا يطرونه وحسبه تلك المترلة.

ونحن على هذا الأمر سائرون فلا نبتدع الموالد ولا نقيم الاحتفالات، بل نحبه كما أمر ونطيعه فيما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر.

فمبلـــــغ العلـــــم فيـــــه أنـــــه بشــــــر
وأنـــــه خـــــير خلـــــق الله كلـــــهم
أغـــــر عليـــــه للنبـــــوة خـــــاتم
مـــــن نـــــور يلـــــوح ويشـــــهد
وضـــم الإلـــه اســـم الـــنبي إلى اسمـــه
إذا قـــال في الخمـــس المـــؤذن أشـــهد
وشـــق لـــه مـــن اسمـــه ليجلـــه
فـــذو العـــرش محمـــود وهـــذا أحمـــد

وإن فاتنا في هذه الدنيا رؤية الحبيب ﷺ وتباعدت بيننا الأيام.. فأدعو الله عز وجل أن نكون ممن قال فيهم الرسول ﷺ: «**وددت أنا قد رأينا إخواننا**» قالوا: ألسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**» فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «**أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض**...»[1].

(١) رواه مسلم.

أدعو الله عز وجل أن يجعلنا ممن يتلمس أثره ﷺ ويقتفي سيرته وينهل من سنته كما أدعو الله عز وجل أن يجمعنا معه في جنات عدن، وأن يجزيه الجزاء الأوفى جزاء ما قدم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

الزيارة

سنعود قرونًا خلت ونقلب صفحات مضت، نقرأ فيها ونتأمل سطورها، ونقوم بزيارة لرسول الله ﷺ في بيته عبر الحروف والكلمات.. سندخل بيته ونرى حاله وواقعه ونسمع حديثه، نعيش في البيت النبوي يومًا واحدًا فحسب، نستلهم الدروس والعبر ونستنير بالقول والفعل.

لقد تفتحت معارف الناس وكثرت قراءهم وأخذوا يزورون الشرق والغرب عبر الكتب والرسائل وعبر الأفلام والوثائق، ونحن أحق منهم بزيارة شرعية لبيت الرسول ﷺ نطل على واقعه جادين في تطبيق ما نراه ونعرفه، ولضيق المقام نعرج على مواقف معينة في بيته، علنا نربي أنفسنا ونطبق ذلك في بيوتنا.

أخي المسلم:

نحن لا نعود سنوات مضت وقرونًا خلت لنستمتع بما غاب عن أعيننا ونرى حال من سبقنا فحسب، بل نحن نتعبد لله عز وجل بقراءة سيرته ﷺ واتباع سنته والسير على نهجه وطريقه، امتثالاً لأمر الله عز وجل لنا بوجوب محبة رسوله الكريم، ومن أهم علامات محبته ﷺ طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.

يقول الله عز وجل عن وجوب طاعته وامتثال أمره ﷺ وجعله إمامًا وقدوة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

وقد ذكر الله طاعة الرسول واتباعه في نحو من أربعين موضعًا في القرآن[2] ولا سعادة للعباد، ولا نجاة في المعاد إلا باتباع رسوله، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

وجعل الرسول ﷺ حبه من أسباب الحصول على حلاوة الإيمان فقال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...**»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»[4].

وسيرة الرسول ﷺ سيرة عطرة زكية منها نتعلم وعلى هديها نسير.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٤.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

الرحلة

الرحلة إلى حيث بيت الرسول ﷺ ورؤية دقائق حياته وأسلوب معاملته أمر مشوق للغاية كيف إذا احتسبنا فيه الأجر والمثوبة. إنها عظة وعبرة، وسيرة وقدوة، واتباع واقتداء، وهذه الرحلة رحلة بين الكتب ورواية على ألسنة الصحابة، وإلا فلا يجوز شد الرحال إلى قبر ولا بيت الرسول ﷺ ولا إلى غيره، سوى لثلاثة مساجد ذكرها الرسول ﷺ بقوله: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»(1).

ويجب أن نمتثل أمر الرسول ﷺ فلا نشد الرحال إلا لهذه المساجد الثلاثة والله عز وجل يقول: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**.

ونحن لا نتتبع آثار النبي ﷺ، قال ابن وضاح: «أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة»(2).

وقال ابن تيمية رحمه الله عن غار حراء: وكان النبي ﷺ قبل النبوة يتحنث فيه، وفيه نزل عليه الوحي أولاً، لكن من حين نزل عليه الوحي ما صعد إليه بعد ذلك، ولا قربه، لا هو ولا أصحابه،

---

(1) متفق عليه.

(2) القصة في البخاري ومسلم.

وقد أقام بمكة بعد النبوة بضع عشرة سنة لم يزره و لم يصعد إليه، وكذلك المؤمنون معه بمكة، وبعد الهجرة أتى مكة مرارًا في عمرة الحديبية، وعام الفتح، وأقام بها قريبًا من عشرين يومًا وفي عمرة الجعرانة، و لم يأت غار حراء ولا زاره..»[1].

ها نحن نطل على المدينة النبوية وهذا أكبر معالمها البارزة بدأ يظهر أمامنا، إنه جبل أحد الذي قال عنه الرسول ﷺ: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**»[2].

وقبل أن نلج بيت الرسول ﷺ ونرى بناءه وهيكله، لا نتعجب إن رأينا المسكن الصغير والفراش المتواضع فإن الرسول ﷺ أزهد الناس في الدنيا وكان متقللاً منها، لا ينظر إلى زخارفها وأموالها: «**بل جعلت قرة عينه في الصلاة**»[3].

وقد قال ﷺ عن الدنيا: «**مالي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها**»[4].

وقد أقبلنا على بيت الرسول ﷺ ونحن نستحث الخطى سائرين في طرق المدينة، هاهي قد بدت حجر أزواج رسول الله ﷺ

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/٢٥١.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه النسائي.
(٤) رواه الترمذي.

مبنية من جريد عليه طين، بعضها من حجارة مرضومة[1] وسقوفها كلها من جريد.

وكان الحسن يقول: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان فأتناول سقفها بيدي[2].

إنه بيت متواضع وحجر صغيرة لكنها عامرة بالإيمان والطاعة وبالوحي والرسالة!

***

(١) مرضومة: أي بعضها فوق بعض.
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٤٩٩، ٥٠١، وانظر السيرة النبوية لابن كثير ٢/٢٧٤.

صفة الرسول ﷺ

ونحن نقترب من بيت النبوة ونطرق بابه استئذانًا.. لندع الخيال يسير مع من رأى النبي ﷺ يصفه لنا كأننا نراه، لكي نتعرف على طلعته الشريفة ومحياه الباسم.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير**»[1].

وعنه رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ مربوعًا بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء لم أر شيئًا قط أحسن منه**»[2].

وعن أبي إسحاق السبيعي قال: «**سأل رجل البراء بن عازب: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر**»[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «**ما مسست بيدي ديباجًا ولا حريرًا، ولا شيئًا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله ﷺ** »[4].

ومن صفاته عليه الصلاة والسلام الحياء حتى قال عنه أبو

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.
(٤) متفق عليه.

سعيد الخدري رضي الله عنه: «**كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه**»[1].

إنها صفات موجزة في وصف خلقة الرسول ﷺ وخلقه وقد أكمل له الله عز وجل الخلق والخلق بأبي هو وأمي ﷺ.

(١) رواه البخاري.

كلام الرسول ﷺ

أما وقد رأينا الرسول ﷺ وبعض صفاته، لنرا حديثه وكلامه، وما هي صفته وكيف هي طريقته لنستمع قبل أن يتحدث عليه الصلاة والسلام.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بين، فصل، يحفظه من جلس إليه**»[(١)].

وكان هينًا لينًا يحب أن يفهم كلمه، ومن حرصه على أمته كان يراعي الفوارق بين الناس، ودرجات فهمهم واستيعابهم، وهذا يستوجب أن يكون حليمًا صبورًا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان كلام رسول الله ﷺ كلامًا فصلاً يفهمه كل من يسمعه**»[(٢)].

وتأمل رفق الرسول وسعة صدره ورحابته وهو يعيد كلامه ليُفهم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثًا لتعقل عنه**»[(٣)].

وكان ﷺ يلاطف الناس ويهدئ من روعهم، فالبعض تأخذه

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه البخاري.

المهابة والخوف.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فكلمه فجعل يرعد فرائصه فقال له ﷺ: «**هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد**»[1].

***

(١) رواه ابن ماجه.

داخل البيت

أذن لنا واستقر بنا المقام في وسط بيت نبي هذه الأمة عليه الصلاة والسلام، لنجيل النظر وينقل لنا الصحابة واقع هذا البيت من فرش وأثاث وأدوات وغيرها.

ونحن نعلم أن لا ينبغي إطلاق النظر في الحجر والدور، ولكن للتأسي والقدوة نرى بعضًا مما في هذا البيت الشريف، إنه بيت أساسه التواضع ورأس ماله الإيمان، ألا ترى أن جدرانه تخلو من صور ذوات الأرواح التي يعلقها كثير من الناس اليوم؟ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تصاوير**»[(١)]، ثم أطلق بصرك لترى بعضًا مما كان الرسول ﷺ يستعمله في حياته اليومية.

عن ثابت قال: أخرج إلينا أنس بن مالك قدح خشب، غليظًا مضببًا بحديد[(٢)] فقال: يا ثابت هذا قدح رسول الله ﷺ[(٣)].

وكان ﷺ يشرب فيه الماء والنبيذ[(٤)] والعسل واللبن[(٥)].

وعن أنس رضي الله عنه: «**أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في**

---

(١) رواه البخاري.

(٢) مضببًا بحديد: أي مشدودًا بضباب من حديد لكي لا يتفرق الخشب.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) قال الحافظ في الفتح: المراد بالنبيذ المذكور: تمرات نبذت في ماء، أي: نقعت فيه، كانوا يفعلون ذلك لاستعذاب الماء.

(٥) رواه الترمذي.

الشراب ثلاثًا»[١]. يعني: يتنفس خارج الإناء.

ونهى عليه الصلاة والسلام «**أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه**»[٢].

أما ذلك الدرع الذي كان يلبسه رسول الله ﷺ في جهاده، وفي معاركه الحربية وأيام البأس والشدة، فلربما أنه غير موجود الآن في المترل، فقد رهنه الرسول ﷺ عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير اقترضها منه كما قالت ذلك عائشة[٣] ومات الرسول ﷺ والدرع عند اليهودي.

و لم يكن ﷺ ليفجأ أهله بغتة يتخونهم، ولكن كان يدخل على أهله على علم منهم بدخوله، وكان يسلم عليهم[٤].

وتأمل بعين فاحصة وقلب واع حديث الرسول ﷺ: «**طوبى لمن هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافًا وقنع**»[٥]، وألق بسمعك نحو الحديث الآخر العظيم «**من أصبح آمنًا في سربه**[٦] **معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»[٧].

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) متفق عليه.
(٤) زاد المعاد ٢/٣٨١.
(٥) رواه الترمذي.
(٦) سربه: أي نفسه، وقيل: قومه.
(٧) رواه الترمذي.

الأقارب

لنبي الأمة ﷺ من الوفاء في صلة الرحم ما لا يفي عنه الحديث؛ فهو أكمل البشر وأتمهم في ذلك، حتى مدحه كفار قريش وأثنوا عليه ووصفوه بالصادق الأمين قبل بعثته عليه الصلاة والسلام، ووصفته خديجة رضي الله عنها بقولها: «إنك لتصل الرحم وتصدق...» الحديث.

هاهو عليه الصلاة والسلام يقوم بحق من أعظم الحقوق وبواجب من أعلى الواجبات، إنه يزور أمه التي ماتت عنه وهو ابن سبع سنين.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله فقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت**»[1].

وتأمل محبته عليه الصلاة والسلام لقرابته وحرصه على دعوتهم وهدايتهم وإنقاذهم من النار.. وتحمل المشاق والمصاعب في سبيل ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**[2]، دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ، وقال: «**يا بني عبد شمس، يا بني كعب بن لؤي**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها[1]»[2].

وها هو الحبيب ﷺ لم يمل و لم يكل من دعوة عمه أبي طالب فعاود دعوته المرة بعد الأخرى، حتى إنه أتى إليه وهو في سياق الموت: «لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ قال: فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به، على ملة عبد المطلب».

فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنـــزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[3] قال: ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[4]»[5].

(١ أي: أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئًا.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٥) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

لقد دعاه الرسول ﷺ في حياته مرات ومرات، وفي اللحظات الأخيرة عند موته، ثم أتبعه الاستغفار له برًا به ورحمة حتى نزلت الآية، فسمع وأطاع عليه الصلاة والسلام وتوقف عن الدعاء للمشركين من قراباته، وهذه صورة عظيمة من صور الرحمة للأمة ثم هي في النهاية صورة من صور الولاء لهذا الدين والبراء من الكفار والمشركين حتى وإن كانوا قرابة وذوى رحم.

نبي أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل، والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجًا مستنيرًا وهاديًا
يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا نارًا وبشر جنة
وعلمنا الإسلام فلله نحمد

الرسول ﷺ في بيته

بيت الإنسان هو محكه الحقيقي الذي يبين حسن خلقه، وكمال أدبه، وطيب معشره، وصفاء معدنه، فهو خلف الغرف والجدران لا يراه أحد من البشر وهو مع مملوكه أو خادمه أو زوجته يتصرف على السجية وفي تواضع جم دون تصنع ولا مجاملات مع أنه السيد الآمر الناهي في هذا البيت وكل من تحت يده ضعفاء، لنتأمل في حال رسول هذه الأمة وقائدها ومعلمها ﷺ كيف هو في بيته مع هذه المنزلة العظيمة والدرجة الرفيعة! «قيل لعائشة: ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: **كان بشرًا من البشر: يفلي ثوبه ويحلب شاته، ويخدم نفسه**»[(١)].

إنه نموذج للتواضع وعدم الكبر وتكليف الغير، إنه شريف المشاركة ونبيل الإعانة، وصفوة ولد آدم يقوم بكل ذلك، وهو في هذا البيت المبارك الذي شع منه نور هذا الدين لا يجد ما يملأ بطنه عليه الصلاة والسلام.

قال: النعمان بن بشير رضي الله عنه وهو يذكر حال النبي عليه أتم الصلاة وأزكى التسليم: «**لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل**[(٢)] **ما يملأ بطنه**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) الدقل: رديء التمر.

(٣) رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**إن كنا آل محمد نمكث شهرًا ما نستوقد بنار إن هو إلا التمر والماء**»(١).

ولم يكن هناك ما يشغل النبي ﷺ عن العبادة والطاعة.. فإذا سمع حي على الصلاة حي على الفلاح لبى النداء مسرعًا وترك الدنيا خلفه.

عن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة رضي الله عنها، ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت؟ قالت: «**كان يكون في مهن أهله، فإذا سمع بالأذان خرج**»(٢).

ولم يؤثر عنه ﷺ أنه صلى الفريضة في مترله ألبتة، إلا عندما مرض واشتدت عليه وطأة الحمى، وصعب عليه الخروج وذلك في مرض موته ﷺ.

ومع رحمته لأمته وشفقته عليهم إلا أنه أغلظ على من ترك الصلاة مع الجماعة فقال ﷺ: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً أن يصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوقم**»(٣).

وما ذاك إلا من أهمية الصلاة في الجماعة وعظم أمرها. قال ﷺ: «**من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر**»(٤)،

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه ابن ماجه وابن حبان.

والعذر خوف أو مرض.

فأين المصلون اليوم؟ بجوار زوجاتهم وقد تركوا المساجد!!!

أين عذر المرض أو الخوف!!!

هديه وسمته ﷺ

حركة الإنسان وسكنته علامة على عقله ومفتاح لمعرفة قلبه.

وعائشة أم المؤمنين ابنة الصديق رضي الله عنهما خير من يعرف خلق النبي ﷺ، وأدق من يصف حاله عليه الصلاة والسلام فهي القريبة منه في النوم واليقظة والمرض والصحة، والغضب والرضا.

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخابًا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح**»[(١)].

وهذا خلق نبي الأمة الرحمة المهداة والنعمة المسداة عليه الصلاة والسلام يصف لنا سبطه الحسين رضي الله عنه بعضًا من هديه ﷺ حيث قال: سألت أبي عن سير النبي ﷺ في جلسائه، فقال: «كان النبي ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ غليظ ولا صخاب، ولا عياب، ولا مشاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه راجيه، ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدًا ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رءوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا

(١) رواه أحمد.

له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: «**إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه**»(١)، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام»(٢).

تأمل في سجايا وخصال نبي هذه الأمة واحدة تلو الأخرى.. وأمسك منها بطرف وجاهد نفسك للأخذ منها بسهم فإنها جماع الخير!

وكان من هديه ﷺ تعليم جلسائه أمور دينهم.. ومن ذلك أنه ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار**»(٣).

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»(٤).

وقوله ﷺ: «**بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٥).

---

(١) أي: أعينوه.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه البخاري.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه الترمذي وأبو داود.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[١].

وعنه ﷺ: أنه قال: « **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**»[٢].

وقال ﷺ: «**إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة**»[٣].

وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»[٤]. والإطراء: هو مجاوزة الحد في المدح.

وعن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**»[٥].

وعلى هذا فلا تجوز الصلاة في المساجد التي فيها قبر أو قبور.

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

بناته ﷺ

كانت ولادة الأنثى في الجاهلية يومًا أسود في حياة الوالدين، بل وفي حياة الأسرة والقبيلة، وسار الحل بهذا المجتمع إلى وأد البنات وهن أحياء خوف العار والفضيحة، وكان الوأد يتم في صور بشعة، قاسية ليس فيها للرحمة موطن ولا للمحبة مكان، فكانت البنت تدفن حية، وكانوا يتفننون في تلك الجريمة فمنهم من إذا ولدت له بنت تركها حتى تكون في السادسة من عمرها، ثم يقول لأمها: طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئرًا في الصحراء فيبلغ بها البئر، فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها دفعًا ويهيل عليها التراب بوحشية وقسوة.

وفي وسط هذا المجتمع الجاهلي خرج الرسول ﷺ بهذا الدين العظيم الذي أكرم المرأة أمًا وزوجة وبنتًا وأختًا وعمة، وقد حظيت البنات بحب رسول الله ﷺ فقد كان إذا دخلت عليه فاطمة ابنته قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها[(١)].

ومع محبة النبي عليه الصلاة والسلام لبناته وإكرامه لهن إلا أنه رضي بطلاق ابنتيه أم كلثوم ورقية صابرًا محتسبًا من عتبة وعتيبة ابني أبي لهب بعد أن أنزل الله فيه ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، وأبى ﷺ أن يترك أمر الدعوة أو أن يتراجع فإن قريشًا هددت وتوعدت

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

حتى طلقت بنتي الرسول عليه الصلاة والسلام وهو ثابت صابر لا يتزعزع عن الدعوة لهذا الدين.

ومن صور الترحيب والبشاشة لابنته ما روته عائشة رضي الله عنها حيث قالت: كن أزواج النبي ﷺ عنده، فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي ما تخطيء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئًا فلما رآها رحب بها وقال: «**مرحبًا بابنتي**» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله[1].

ومن عطفه ومحبته لبناته زيارتهن وتفقد أحوالهن وحل مشاكلهن.. أتت فاطمة رضي الله عنها النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يديها من الرحى وتسأله خادمًا، فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها فلما جاء الرسول ﷺ أخبرته قال علي رضي الله عنه: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال: «**مكانكما**» فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: « **ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكبرا أربعًا وثلاثين وسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين فهذا خير لكما من خادم**»[2].

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في صبره وعدم جزعه فقد توفي جميع أبنائه وبناته في حياته -عدا فاطمة رضي الله عنها- ومع

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

هذا فلم يلطم خدًا ولم يشق ثوبًا ولم يقم المآدب وسرادقات التعزية، بل كان عليه الصلاة والسلام صابرًا محتسبًا راضيًا بقضاء الله وقدره.

وقد عهد إلينا بوصية عظيمة وأحاديث جليلة هي سلوة للمحزون وتنفيس للمكروب، منها قوله ﷺ: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها**»[1] . وقد جعل الله عز وجل كلمات الاسترجاع وهي قول المصاب: «إنا لله وإنا إليه راجعون» ملاذًا وملجأ لذوي المصائب، واجزل المثوبة للصابرين وبشرهم بثواب من عنده تعالى: **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**.

***

(١) رواه مسلم.

معاملة الزوجة

في دوحة الأسرة الصغيرة تبقى الزوجة مربط الفرس وجذع النخلة والسكن والقرب.

يقول الرسول ﷺ: «**الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة**»[(١)].

ومن حسن خلقه وطيب معشره عليه الصلاة والسلام، نجده ينادي أم المؤمنين بترخيم اسمها ويخبرها خبرًا تطير له القلوب والأفئدة!

قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ يومًا: « **يا عائش! هذا جبريل يقرئك السلام**»[(٢)].

بل هذا نبي الأمة ﷺ وأكملها خلقًا وأعظمها مترلة، يضرب صورًا رائعة في حسن العشرة ولين الجانب ومعرفة الرغبات العاطفية والنفسية لزوجته، ويترلها المترلة التي تحبها كل أنثى وامرأة لكي تكون محظية عند زوجها!

قالت عائشة رضي الله عنها: « كنت أشرب وأنا حائض، فأناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في فيشرب، وأتعرق العرق[(٣)] فيتناوله ويضع فاه على موضع في»[(٤)].

---

(١) صحيح الجامع الصغير.
(٢) متفق عليه.
(٣) أي آخذ ما على العظم من اللحم.
(٤) رواه مسلم.

ولم يكن ﷺ كما زعم المنافقون واتهمه المستشرقون بتهم زائفة وادعاءات باطلة.. بل ها هو يتلمس أجمل طرق العشر الزوجية وأسهلها.

عن عائشة رضي الله عنها: «إن النبي ﷺ قبل امرأة من نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ»[(١)].

والرسول ﷺ في مواطن عدة يوضح بجلاء مكانة المرأة السامية لديه وأن لهن المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة، ها هو ﷺ يجيب على سؤال عمرو بن العاص رضي الله عنه ويعلمه أن محبة الزوجة لا تخجل الرجل الناضج السوي القويم.

عن عمرو بن العاص أنه قال لرسول الله ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»[(٢)].

ولمن أراد بعث السعادة الزوجية في حياته عليه أن يتأمل حديث أم المؤمنين رضي الله عنها وكيف كان عليه الصلاة والسلام يفعل معها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد**»[(٣)].

ونبي هذه الأمة ﷺ لا يترك مناسبة إلا استفاد منها لإدخال

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.

السرور على زوجته وإسعادها بكل أمر مباح.

تقول عائشة رضي الله عنها: خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم و لم أبدن، فقال للناس: «تقدموا» فتقدموا ثم قال: «**تعالي حتى أسابقك**» فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى حملت اللحم، وبدنت وسمنت وخرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس «**تقدموا**» ثم قال: «**تعالي أسابقك**» فسبقني، فجعل يضحك ويقول: «**هذه بتلك**»[1].

إنها مداعبة لطيفة واهتمام بالغ، يأمر القوم أن يتقدموا لكي يسابق زوجته، ويدخل السرور على قلبها، ثم ها هو يجمع لها دعابة ماضية وأخرى حاضرة، ويقول: «**هذه بتلك**»!

ومن ضرب في أرض الله الواسعة اليوم وتأمل حال علية القوم ليعجب من فعله ﷺ وهو نبي كريم وقائد مظفر وسليل قريش وبني هاشم، في يوم من أيام النصر قافلاً عائدًا منتصرًا يقود جيشًا عظيمًا، ومع هذا فهو الرجل الودود اللين الجانب مع زوجاته أمهات المؤمنين، لم تنسه قيادة الجيش ولا طول الطريق ولا الانتصار في المعركة أن معه زوجات ضعيفات يحتجن منه إلى لمسة حانية وهمسة صادقة تمسح مشقة الطريق وتزيل تعب السفر!

روى البخاري أنه ﷺ لما رجع من غزوة خيبر وتزوج صفية بنت حيي رضي الله عنها كان يدير كساء حول البعير الذي تركبه

---

(١) رواه أحمد.

يسترها به، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب.

كان هذا المشهد مؤثرًا يدل على تواضعه ﷺ، لقد كان ﷺ وهو القائد المنتصر والنبي المرسل يعلم أمته أنه لا ينقص من قدره ومن مكانته أن يوطئ أكنافه لأهله وأن يتواضع لزوجته، وأن يعينها ويسعدها.

ومن وصاياه عليه الصلاة والسلام لأمته: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا**»[1].

(١) رواه مسلم.

تعدد الزوجات

تزوج رسول الله ﷺ إحدى عشرة امرأة، تدثرن باسم أمهات المؤمنين، ومات عن تسع نساء وياله من شرف عظيم ومترلة رفيعة حظيت بها تلك النساء الكريمات، ولقد تزوج الرسول ﷺ المرأة الكبيرة، والأرملة والمطلقة والضعيفة، و لم يكن بين تلك الزوجات بكرًا إلا عائشة رضي الله عنها.

تزوج الرسول ﷺ أمهات المؤمنين وجمع بينهن فكان مثالاً في العدل والقسمة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول لله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها**»[1].

ومن صور العدل ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه:

«**كان للنبي ﷺ تسع نسوة، فكان إذا قسم بينهن لا ينتمي إلى المرأة الأولى إلا في تسع فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها، فكان في بيت عائشة فجاءت زينب فمد يده إليها فقالت عائشة: هذه زينب، فكف النبي ﷺ يده**»[2].

وهذا البيت النبوي العظيم لم يكن كذلك لولا ما كان لرسول الله ﷺ من توفيق ربه وإلهامه إياه.

وها هو ﷺ يشكر ربه قولاً وفعلاً كان ﷺ يحث نساءه على

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

العبادة ويعينهن على ذلك امتثالاً لأمر الله عز وجل:﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[(١)].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه فإذا أراد أن يوتر أيقظني»[(٢)].

وقد حث النبي ﷺ على أمر قيام الليل وإعانة الزوج والزوجة لبعضهما حتى تأخذ منحى جميلاً في نضح الماء من الزوج أو الزوجة لا فرق. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[(٣)].

ومن كمال المسلم والتزامه بدينه، اعتناؤه بمظهره الخارجي إتمامًا لصفاء داخله ونقائه.

كان عليه الصلاة والسلام طاهر القلب نظيف البدن طيب الرائحة يحب السواك ويأمر به قال ﷺ: «لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[(٤)].

(١) سورة طه ١٣٢.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه أحمد.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم يشوص[1]، فاه بالسواك[2].

وعن شريح بن هاني قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك[3].

فما أجملها من نظافة واستعداد لاستقبال أهل البيت!

وكان ﷺ يقول عند دخول المترل: «**بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهله**»[4].

وليهنأ أهل بيتك بالدخول بالنظافة والبدء بالسلام، ولا تكن أخي المسلم ممن استبدل هذا بالعتاب واللوم والتقريع.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الشوص: الدلك.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

مزاح رسول الله ﷺ

النبي القائد ﷺ مهموم بأمر أمته، وبجيوشه، وقواده، وبأهل بيته، وبالوحي تارة وبالعبادة أخرى، وهناك هموم أخرى، إنها أعمال عظيمة تجعل أي رجل عاجزًا عن الوفاء بمتطلبات الحياة وبث الروح فيها، ولكنه عليه الصلاة والسلام أعطى كل ذي حق حقه فلم يقصر في حق على حساب آخر وفي جانب دون غيره، فهو ﷺ مع كثرة أعبائه وأعماله جعل للصغار في قلبه مكانًا، فقد كان عليه الصلاة والسلام يداعب الصغار ويمازحهم ويتقرب إلى قلوبهم ويدخل السرور على نفوسهم كما يمازح الكبار أحيانًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله: إنك تداعبنا[(١)]، قال: «**نعم. غير أني لا أقول إلا حقًا**»[(٢)].

ومن مزاحه ﷺ ما رواه أنس بن مالك قال: «**إن النبي ﷺ قال له: يا ذا الأذنين**»[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان ابن لأم سليم يقال له أبو عمير كان النبي ﷺ ربما مازحه إذا جاء فدخل يومًا يمازحه، فوجده حزينًا، فقال: «**مالي أرى أبا عمير حزينًا**» فقالوا: يا رسول الله مات نغره الذي كان يلعب به، فجعل يناديه: «**يا أبا عمير، ما**

---

(١) تداعبنا: يعني تمازحنا.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أبو داود.

فعل النغير؟»[1].

ومع الكبار كان للرسول ﷺ مواقف يروي أحدها أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول: إن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام، قال: وكان النبي ﷺ يحبه وكان دميمًا، فأتاه النبي ﷺ يومًا يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر: فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: «**من يشتري العبد**» فقال: يا رسول الله إذا والله تجدني كاسدًا، فقال النبي: «**لكن عند الله أنت غال**»[2].

إنه حسن خلق من كريم سجاياه وشريف خصاله عليه الصلاة والسلام.

ومع تبسط الرسول ﷺ مع أهله وقومه فإن لضحكه حدًا فلا تراه إلا مبتسمًا كما قالت عائشة رضي الله عنها: «**ما رأيت رسول الله مستجمعًا قط ضاحكًا حتى ترى منه لهواته**[3]**، وإنما كان يبتسم**»[4].

ومع هذه البشاشة وطيب المعشر إلا أنه ﷺ يتمعر وجهه إذا انتهكت محارم الله قالت عائشة رضي الله عنها: قدم رسول الله ﷺ

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أحمد.
(٣) اللهوات: جمع لهات: وهي اللحم التي في أقصى سقف الفم.
(٤) متفق عليه.

من سفر، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه وقال: «**يا عائشة: أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**»[(١)].

فدل هذا على تحريم اتخاذ الصور في البيت إذا كانت بارزة، وأشد منه تحريمًا الصور المعلقة في الجدار أو التماثيل المنصوبة في الأركان وعلى الأرفف والمناضيد، فإن ذلك مع الإثم المترتب عليه يحرم أهل البيت من دخول ملائكة الرحمة في ذلك البيت.

(١) متفق عليه، والسهوة كالصفة بين يدي البيت، والقرام، ستر رقيق هتكه: أي أفسد الصورة التي فيه.

نوم النبي ﷺ

عن أبي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فليأخذ داخلة إزاره** -أي طرفه- **فلينفض بها فراشه وليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن، وليقل: سبحانك اللهم ربي بك وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفس فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عباده الصالحين**»(١).

وكان من توجيهه ﷺ لكل مسلم ومسلمة: « **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن**»(٢).

وعن عائشة قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه فنفث فيهما، وقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يصنع ذلك ثلاث مرات**»(٣).

عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.

كافي له ولا مؤوي»[1].

وعن أبي قتادة: «**إن النبي ﷺ كان إذا عرس**[2] **بليل اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه»**[3].

ومع نعم الله عز وجل التي أغدقها علينا، تأمل أخي الحبيب في فراش سيد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل الخلق أجمعين خير من وطأت قدمه الثرى.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من أدم حشوه ليف**»[4].

ودخل عليه نفر من أصحابه ودخل عمر، فانحرف رسول الله ﷺ فلم ير عمر بين جنبيه وبين الشريط ثوبًا، وقد أثر الشريط بجنب رسول الله ﷺ فبكى عمر، فقال له النبي ﷺ: «**ما يبكيك يا عمر**»؟ قال: والله إلا أن أكون أعلم أنك أكرم على الله عز وجل من كسرى وقيصر، وهما يعبثان في الدنيا فيما يعبثان فيه، وأنت رسول الله بالمكان الذي أرى! فقال النبي ﷺ: «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**»؟ قال عمر: بلى، قال: «**فإنه كذلك**»[5].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) التعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والراحة.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه الإمام أحمد.

قيام الليل

قد أقبل ليل المدينة وخيم بسواده عليها، لكن الرسول ﷺ أضاء جوانحه بالصلاة وذكر الله وقام ليله يتهجد ويناجي رب الأرض والسموات ويدعو من بيده مقاليد الأمور استجابة لأمر خالقه وبارئه **﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾**(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقوم يصلي حتى تنتفخ قدماه، فيقال له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»(٢).

وعن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل فقالت: «**كان ينام أول الليل ثم يقوم فإذا كان له حاجة ألم بأهله، فإذا سمع الأذان وثب، فإن كان جنبًا أفاض عليه من الماء وإلا توضأ وخرج إلى الصلاة**»(٣).

وصلاة الرسول ﷺ بالليل فيها من العجب ما يجعلنا نتأمل في طولها ونتخذها قدوة وأسوة.

عن أبي عبد الله حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال:

---

(١) سورة المزمل الآيات ١-٤.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) رواه البخاري.

«صليت مع النبي ﷺ ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، ثم افتتح آل عمران فقرأها، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، يقرأ مترسلاً[1]، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريبًا من قيامه»[2].

***

(١) مترسلاً: أي بتبين الحروف وأداء حقها.

(٢) رواه مسلم.

بعد الفجر

بعد هدوء ليل المدينة ومع إشراقات الفجر حيث تم أداء صلاة الفجر مع الجماعة في المسجد كان عليه الصلاة والسلام يجلس بعد صلاة الفجر لذكر الله حتى تطلع الشمس ثم يصلي ركعتين، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: «**أن النبي ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسنًا**»[(١)].

وقد حث عليه الصلاة والسلام على الإتيان بهذه السنة العظيمة وذكر بما فيها من الأجر والمثوبة.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «**من صلى الفجر في جماعة،ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة، تامة، تامة، تامة**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم، ومعنى حسنًا مرتفعة.

(٢) رواه الترمذي.

صلاة الضحى

قد انتصف النهار واشتدت حرارة الشمس، وأقبلت السموم الحارقة تلفح الوجوه، إنها فترة الضحى، وقت عمل وقضاء حوائج، ومع كثرة أعباء الرسالة ومقابلة الوفود، وتعليم الصحابة، وحقوق الأهل، فقد كان ﷺ يتعبد الله عز وجل.

قالت معاذة: قلت لعائشة رضي الله عنها: أكان النبي ﷺ يصلي الضحى؟ قالت: «**نعم أربع ركعات ويزيد ما شاء الله عز وجل**»(١).

وقد أوصى بها ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد**»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

صلاة النوافل في البيت

هذا البيت العامر بالإيمان، المليء بالعبادة والذكر، يوصي النبي ﷺ أن يكون لبيوتنا مثل ذلك، فيقول ﷺ: «**اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورًا**»[1].

قال ابن القيم رحمه الله: وكان ﷺ يصلي عامة السنن والتطوع الذي لا سبب له في بيته، لاسيما سنة المغرب فإنه لم ينقل عنه أنه فعلها في المسجد ألبتة، ولصلاة النوافل في البيت فوائد منها: اتباع سنة النبي ﷺ، وتعليم النساء والأطفال كيفية الصلاة، وطرد الشياطين منه بسبب الذكر والقراءة وأدعى للإخلاص والبعد عن الرياء.

(١) رواه البخاري.

بكاء النبي ﷺ

كثير من الرجال والنساء يبكون لكن يا ترى كيف يكون البكاء ولمن يكون؟! نبينا عليه الصلاة والسلام كان يبكي مع أن الدنيا في يده لو أرادها، والجنة أمامه وهو في أعلى منازلها، نعم كان يبكي عليه الصلاة والسلام ولكنه بكاء العباد، كان يبكي وهو يناجي ربه في الصلاة وعند سماع القرآن وما ذاك إلا من رقة القلب وصلاح السريرة، ومعرفة عظمة الله عز وجل وخشية منه سبحانه.

عن مطرف -وهو ابن عبد الله بن الشخير- عن أبيه قال: «**أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء**»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ علي**» فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت سورة النساء حتى بلغت ﴿**وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ قال: «**فرأيت عيني رسول الله تهملان**»(٢).

بل تأمل في شعرات بيض تعلو مفرق رسول الله وما يقارب من ثمانية عشر شيبة في لحيته الشريفة، وارع قلبك لتسمع من لسانه

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه البخاري.

الشريف سبب تلك الشعيرات البيض: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت! قال ﷺ: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»[1].

(١) رواه الترمذي.

تواضعه ﷺ

كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خلقًا وأكملهم قدرًا فخلقه القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها: «**كان خلقه القرآن**»[1] ولقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[2].

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام عدم محبته للمدح والثناء والإطراء.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[3].

وعن أنس رضي الله عنه: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق مترلتي التي أنزلني الله عز وجل»[4].

وبعض الناس يطري النبي ﷺ غاية الإطراء فيعتقد أنه يعلم الغيب أو أن بيده الضر والنفع ويجيب الحوائج ويشفي المرضى، والله عز وجل نفى ذلك كله فقال تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا**

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أحمد.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) رواه النسائي.

ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾.

وهذا النبي المرسل خير من أقلته الغبراء وأظلته الخضراء، دائم الإخبات والإنابة إلى ربه، لا يحب الكبر، بل هو رأس المتواضعين وسيد المنكسرين لربه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك»[(١)].

وألق بطرفك لنبي الأمة عليه الصلاة والسلام في تواضع عجيب وحسن خلق نادر يتواضع فيه للمرأة المسكينة ويمنحها من وقته المليء بالأعمال.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت له: إن لي إليك حاجة، فقال: «**اجلسي في أي طريق المدينة شئت أجلس إليك**»[(٢)].

يـــروح بـــأرواح المحامـــد حســـنها
فيرقـــى بهـــا في ســـاميات المفـــاخر
وإن فض في الأكـــوان مســـك ختامهـــا
تعطـــر منـــها كـــل نجـــد وغـــائر

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه أبو داود.

وكان عليه السلام رأس أهل التواضع وعلمهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت**»(١).

وللمتكبرين في كل عصر وحين يبقى حديث الرسول ﷺ حاجزًا لهم ورادعًا لكبرهم واستعلائهم.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»(٢).

والكبر طريق إلى النار والعياذ بالله، حتى وإن كان مثقال ذرة، وتأمل في عقوبة متكبر يختال في مشيته، كيف سخط الله عز وجل عليه وأنزل به غضبه وأليم عقابه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه(٣) يختال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل(٤) في الأرض إلى يوم القيامة**»(٥).

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) مرجل رأسه: أي ممشطه.
(٤) يتجلجل: أي يغوص ويتزل.
(٥) متفق عليه.

خادمه ﷺ

هذا الخادم المسكين الضعيف أنزله الرسول ﷺ منزلة تليق به، قياسًا على دينه وتقواه لا على عمله وضعفه قال عليه السلام والصلاة عن الخدم والأجراء: «**هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم**»(١).

ثم تأمل في خادم يروي عن سيده كلامًا عجيبًا وشهادة مقبولة وثناء عطرًا وهل رأيت خادمًا يثني على سيده مثل ما قال خادم رسول الله ﷺ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لي لشيء صنعته [لم صنعته؟] ولا لشيء تركته لم تركته؟**»(٢).

عشر سنوات كاملة ليست أيامًا أو شهورًا إنه عمر طويل فيه الفرح والترح، والحزن والغضب وتقلبات النفس واضطرابها وفقرها وغناها، ومع هذا فلم ينهره ولم يأمره -بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام- بل ويكافئه ويطيب خاطر خادمه ويلبي حاجته وحاجة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

أهله ويدعو لهم.

قال أنس رضي الله عنه: قالت أمي: يا رسول الله خادمك ادع الله له، قال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**»[1].

ومع شجاعته عليه الصلاة والسلام فإنه لم يهن ولم يضرب إلا في حق، ولم يقس على الضعفاء الذين تحت يده من زوجة وخادم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادمًا ولا امرأة»[2].

بل ها هي أم المؤمنين رضي الله عنها تكرر الشهادة لخير الخلق وصفوة الناس أجمعين وقد سارت الركبان بالحديث عن حسن سيرته ونبل معشره حتى شهد له كفار قريش.

تقول رضي الله عنها: «**ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرًا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء، فإذا انتهك من محارم الله تعالى شيء، كان من أشدهم في ذلك غضبًا، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثمًا**»[3].

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.

وكان ﷺ ينادي بالرفق والأناة قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»[1].

---

(١) متفق عليه.

الهدية والضيف

في حياة البشر حاجات عاطفية ودخائل نفسية تظهر الحاجة إليها دومًا في المجتمع والأسرة والبيت، ومن الأمور التي تقرب القلوب وتذيب إحن النفوس الهدية، عن عائشة رضي الله عنها: «**أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها**»[(١)] وهذا الإهداء والشكر من كرم النفوس وصفاء الصدور.

وخلق الكرم من أخلاق الأنبياء وسنن المرسلين، ولرسولنا ﷺ قصب السبق والقدح المعلى في ذلك أليس هو القائل: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه؟**»[(٢)].

ووالله لم تشهد الغبراء ولا وهادها ولم ير الحجاز ولا الجزيرة، بل ولا الخافقين أنبل أخلاقًا وأكرم صفاتٍ منه ﷺ كحل عينيك – أيها القارئ– لترى موقفاً من مواقفه العظيمة بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام!!

عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن امرأة جاءت إلى رسول الله ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره فقال فلان: اكسنيها ما

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

أحسنها فقال: «**نعم**» فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه فقال له القوم: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجًا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلاً، فقال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني قال سهل: فكانت كفنه»[(١)].

ولا تعجب من خلق من اصطفاه الله عز وجل ورباه على عينه وجعله القدوة، رسول الله ﷺ يضرب أروع الأمثلة في السخاء والجود، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «**يا حكيم، إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى**»[(٢)].

وصدق الشاعر:

ولــه كمــال الــدين أعلــى همــة
يعلــو ويســمو أن يقــاس بثــاني
لمــا أضــاء علــى البريــة زاهـا
وعــلا بهــا فــإذا هــو الــثقلان
فوجدت كــل الصــيد في جــوف الفــرا
ولقيــت كــل النــاس في إنســان

---

(١) رواه البخاري.
(٢) متفق عليه.

عن جابر رضي الله عنه قال:ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال، لا[(١)].

ومع هذا العطاء والسخاء في اليد إلا أن سخاءه منقطع النظير في الجود والبذل وطيب النفس وحسن المعاشرة وصدق المحبة.

كان من عادته أن يبش (يبتسم) إلى كل من يجلس إليه، حتى يظن أنه أحب أصحابه إلى قلبه.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «ما حجبني رسول الله ﷺ ولا رآني منذ أسلمت إلا تبسم»[(٢)].

ولك في وصف شاهد كفاية وعبر.

وعن عبد الله بن الحارث قال: «**مارأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ**»[(٣)].

ولماذا تعجب أيها الحبيب وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «**وتبسمك في وجه أخيك صدقة**»[(٤)].

أما خادم رسول الله ﷺ أنس رضي الله عنه فقد وصف رسول الله ﷺ بصفات عظيمة قل أن تجد بعضها في رجل أو أن تجتمع في أناس، كان رسول الله ﷺ أشد الناس لطفًا فما سأله سائل قط إلا أصغى إليه فلا ينصرف رسول الله ﷺ حتى يكون السائل هو

(١) رواه البخاري ٦٠٣٤.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه الترمذي.

الذي ينصرف وما تناول أحد يده قط إلا ناوله إياها فلا يترع ﷺ يده حتى يكون الرجل هو الذي يترعها منها»[(١)].

مع إكرامه ﷺ لضيفه والتطلف معه إلا أنه كان رءوفًا بأمته، ولذا فهو ينكر المنكر ولا يقبله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فترعه فطرحه، وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**»[(٢)].

---

(١) رواه أبو نعيم في الدلائل.
(٢) رواه مسلم.

الرحمة بالأطفال

أهل القلوب القاسية لا يعرف الرحمة وليس للعاطفة في صدورهم مكان إنهم كالحجارة الصماء، جفاف في العطاء والأخذ، وبخل بأرق المشاعر والعوطف الإنسانية أما من منحه الله عز وجل قلبًا رقيقًا وحنانًا دافقًا فهو صاحب القلب المثالي الحنون، تكسوه الرحمة وتحركه العاطفة.

عن أنس رضي الله عنه: «**أن النبي ﷺ أخذ ولده إبراهيم فقبله وشمه**»[(١)].

وهذه الرحمة ليست خاصة لأقاربه فحسب بل عامة لأبناء المسلمين، قالت أسماء بنت عميس زوجة جعفر رضي الله عنها: دخل علي رسول الله ﷺ فدعا بني جعفر فرأيته شمهم، وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: «**نعم، قتل اليوم**» فقمنا نبكي ورجع فقال: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا فإنه قد جاء ما يشغلهم**»[(٢)].

ولما كانت عيناه ﷺ تفيض لموتهم سأله سعد بن عبادة رضي الله عنه: يا رسول الله ما هذا؟ فيقول ﷺ: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) أخرجه ابن سعد، والترمذي وابن ماجه.
(٣) رواه البخاري.

وعندما ذرفت عيناه ﷺ لوفاة ابنه إبراهيم قال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «وأنت يا رسول الله »؟ فقال: «**يا ابن عوف، إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى**» وقال: إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزنون»[1].

وخلق الرسول العظيم مدعاة إلى الأخذ به والسير على خطاه فنحن في زمن فقدنا فيه الإحساس بمحبة الصغار وإنزالهم مترلتهم فهم الآباء غدا وهم رجال الأمة وفجرها المنتظر بلغ بنا الجهل والكبر وقلة الرأي وقصر النظر إلى أن تركنا مفتاح القلوب مغلقًا ومضيعًا مع الأطفال والناشئة، أما الرسول ﷺ فإن المفتاح بيده وعلى لسانه، هاهو يجعل الصبي يحبه ويجعله ويقدره وهو ﷺ يترل الناشئ مترلة رفيعة.

كان أنس رضي الله عنه إذا مر على صبيان سلم عليهم وقال: «كان النبي ﷺ يفعله»[2].

وكما أن للأطفال مشقتهم وتعبهم وكثرة حركتهم إلا أن رسول الله ﷺ لا يغضب ولا ينهر الصغير ولا يعاتبه، كان يأخذ ﷺ بمجامع الرفق وبخطام وزمام السكينة.

عن عائشة رضي الله عنها: قالت: «كان النبي ﷺ يؤتى

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

بالصبيان فيدعو لهم فأتي بصبي فبال على ثوبه فدعا بماء فأتبعه إياه و لم يغسله»[(١)].

أما خطر في بالك أيها القارئ وأنت تتشرف بالجلوس في بيت النبوة أن تداعب صغارك وتمازح أبناءك وتسمع ضحكاتهم وجميل عباراتهم؟ كان نبي الأمة يفعل ذلك كله بأبي هو وأمي ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ ليدلع لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبي حمرة لسانه، فيهش له**»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة، وهو يقول: يا زوينب، يا زوينب، مرارًا**»[(٣)].

ورحمته تطال الصغار حتى وهو في عبادة عظيمة «فقد كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ لأبي العاص بن الربيع، فإذا قام حملها، وإذا سجد وضعها»[(٤)].

وعن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: «**عقلت من رسول الله ﷺ مجة مجها في وجهي من دلو، من بئر كانت في دارنا، وأنا ابن خمس سنين**»[(٥)].

وهو عليه الصلاة والسلام يعلم الكبير والصغير عن ابن عباس

---

(١) رواه البخاري.
(٢) السلسلة الصحيحة رقم ٧٠.
(٣) الأحاديث الصحيحة ٢١٤١، صحيح الجامع ٥٠٢٥.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) رواه البخاري ومسلم.

رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: « **يا غلام، إني أعلمك كلمات:احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»[1].

بعد أن عشنا مع بعض شمائله الكريمة وسيرته العطرة لعلنا نحيي بها القلوب ونقتفي خلفها الأثر في مسيرة الحياة، فبيوتنا تزهر بالصغار، والأطفال الذين يحتاجون إلى حنان الأبوة وعاطفة الأمومة وإدخال السرور على قلوبهم الصغيرة، فينشأ سوي العاطفة سوي الخلق يقود الأمة رجلاً صنعه الرجال والأمهات بعد توفيق الله عز وجل.

(١) رواه الترمذي.

الحلم والرفق والصبر

البطش وأخذ الحقوق قهرًا وجبرًا من سمات الظلمة وأهل الجور ونبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أرسى قواعد العدل والنصرة لكل صاحب حق حتى ينال حقه ويأخذه، وقد سير ﷺ ما منحه الله عز وجل من أمر ونهي للخير وفي سبيل الخير، فنحن لا نخشى في بيته ﷺ مظلمة ولا بطشًا، ولا تعديًا ولا نهبًا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺشيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: «يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء»[(٢)].

ولما قفل رسول ﷺ من غزوة حنين تبعه الأعراب يسألونه فالجئوه إلى شجرة فخطفت رداءه، وهو على راحلته، فقال: «ردوا علي ردائي، أتخشون علي البخل؟ فقال: فوالله لو كان لي عدد هذه

(١) رواه أحمد.

(٢) متفق عليه.

العضاة[1] نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جبانًا ولا كذابًا»[2].

ومن أنصع صور التربية وجميل التعليم، الرفق في جميع الأمور ومعرفة المصالح ودرء المفاسد.

أخذت الغيرة الصحابة وهم يرون من يخطئ وتزل قدمه وسارعوا إلى الإنكار وحق لهم ذلك، ولكن الحليم الرفيق ﷺ منعهم من ذلك لجهل الفاعل وللضرر المترتب فكان الأولى ما فعله الرسول ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: «**دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين**»[3].

وصبر الرسول على أمر الدعوة مدعاة إلى التأسي به والسير على نهجه، وعدم الانتصار للنفس، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن

(١) العض: الشجر الغليظ يبقى في الأرض.
(٢) رواه البغوي في شرح السنة وصححه الألباني.
(٣) رواه البخاري.

الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك وقد بعثت إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين»[(١)]. فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[(٢)].

وبعض النفوس اليوم تتعجل أمر الدعوة وتأمل في حصد النتائج سريعًا، والانتصار للنفس قدحًا في الدعوة وإخلاصها ولهذا فشلت بعض الدعوات لفشو هذا الأمر بين أفرادها فأين الصبر والتحمل؟!

وبعد سنوات طويلة وقع ما أمله الرسول ﷺ بعد معاناة وصبر وطول جهاد.

وكيف يسامى خير من وطيء الثرى
وفي كل باع عن علاه قصور
وكل شريف عنده متواضع
وكل عظيم القريتين حقير

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله

(١) الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة والأخشب: الجبل الغليظ.
(٢) متفق عليه.

ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

وذات يوم جاء إلى رسول الله ﷺ وهو في جنازة مع أصحابه يهودي اسمه زيد بن سعنة، يتقاضاه دينًا، فأخذ بمجامع قميصه وردائه، ونظر إليه بوجه غليظ، وقال: يا محمد ألا تقضيني حقي؟ وأغلظ في القوم، فغضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونظر إلى زيد وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى؟! فوالذي بعثه بالحق لو لا ما أحاذر من لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ثم قال: «**يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فأعطه حقه، وزده عشرين صاعًا من تمر**».

يقول زيد اليهودي لما زاده عمر عشرين صاعًا من تمر قال: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال عمر: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان نقمتك قال زيد: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا من أنت؟ قال: زيد بن سعنة.

قال: الحبر؟" قلت: الحبر، قال: فما دعاك أن فعلت برسول

---

(١) متفق عليه.

الله ﷺ ما فعلت، وقلت له ما قلت؟ قال زيد: يا عمر لم يكن له من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه: هل يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا فقد اختبرهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا وأشهدك أن شطر مالي صدقة على أمة محمد ﷺ فقال عمر رضي الله عنه أو على بعضهم فإنك لا تسعهم، قال زيد: أو على بعضهم فرجع زيد اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وآمن به وصدقه[(١)].

ونحن نتأمل الموقف ونهايته والحوار الطويل فيه لعل لنا نصيبًا من التأسي بقدوتنا محمد عليه الصلاة والسلام، والصبر على الناس ودعوتهم برفق وحلم.

وتشجيعهم إذا أحسنوا وبث روح التفاؤل في نفوسهم عن عائشة رضي لله عنها قالت: «اعتمرت مع النبي ﷺ من المدينة حتى إذا قدمت مكة، قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله قصرت وأتممت، وأفطرت وصمت، قال: «**أحسنت يا عائشة**» وما عاب علي»[(٢)]

(١) أخرجه النسائي في مستدركه وصححه.

(٢) رواه النسائي.

طعامه ﷺ

الموائد والجفان تروح وتغدو في بيوت علية القوم وأهل الأمر والنهي فيها.. ونبي هذه الأمة تحت يده، البلاد والعباد وترد إليه الإبل محملة بالأرزاق ويفيض بين يديه الذهب والفضة، يا ترىكيف مطعمه ومشربه، أعيشة الملوك أم أرفع وأعظم؟ أطعام الأغنياء والموسرين أم أكمل وأتم؟ لا تعجب وأنت تتأمل طعام الرسول ﷺ وقلته وتقشفه يحدثنا أنس رضي الله عنه حيث قال: « **إن النبي ﷺ لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف**»[(١)].

والضفف: قلة المأكول وكثرة الأكلة، والمعنى أنه لم يشبع إلا بضيق وشدة، أو ما شبع في زمن من الأزمان إلا إذا نزل به الضيوف، فيشبع حينئذ لضرورة الإيناس والمجابرة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ**»[(٢)].

وفي رواية: «**ما شبع آل محمد منذ قام المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعًا حتى قبض**»[(٣)].

بل كان عليه الصلاة والسلام لا يجد ما يأكل وينام طاويًا لا

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.

يدخل جوفه اللقمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: « كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويًا هو وأهله،لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير»[1].

وليس الأمر من قلة وندرة، بل كانت تفيض الأموال من تحت يده وتفد إليه النجائب محملة، ولكنه الله عز وجل اختار لنبيه ﷺ الحال الأكمل والأقوم.

قال عقبة بن الحارث رضي الله عنه: صلى بنا النبي ﷺ العصر فأسرع ثم دخل البيت فلم يلبث أن خرج فقلت أو قيل له فقال: «**كنت خلفت في البيت تبرًا –أي ذهبًا– من الصدقة فكرهت أن أبيته فقسمته**»[2].

والسخاء العجيب والعطاء المنقطع النظير هو ما يخرج من يد نبي هذه الأمة، عن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل، فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: «يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر»[3].

ومع هذا العطاء والسخاء، تأمل حال نبي هذه الأمة عن أنس رضي الله عنه قال: « **لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات، وما**

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

أكل خبزًا مرققًا حتى مات»[١].

وذكرت عائشة رضي الله عنها أنه كان يأتيها فيقول: «أعندك غداء»؟ فتقول: لا، فيقول: «**إني صائم**»[٢].

وثبت عنه ﷺ أنه كان يقيم الشهر والشهرين، لا يعيشه هو وآل بيته إلا الأسودان: التمر والماء[٣].

ومع هذه القلة في الطعام والندرة في المأكولات فإن خلقه الرفيع وأدبه الإسلامي يدعوه إلى شكر نعمة الله ثم شكر من أعدها وعدم تعنيفه إن أخطأ، فقد اجتهد و لم يصب، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام لا يعيب طعامًا ولا يلوم طابخًا ولا يرد موجودًا ولا يطلب مفقودًا، إنه نبي الأمة لم يكن همه بطنه ومأكله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه**»[٤].

وللأحبة الكرام من تأخذهم المآكل والمشارب أسوق قول شيخ الإسلام ابن تيمية مختصرًا:

وأما الأكل واللباس: فخير الهدي هدى محمد ﷺ وكن خلقه في الأكل أن يأكل ما تيسر إذا اشتهاه، ولا يرد موجودًا، ولا يتكلف مفقودًا، فكان إذا حضر خبز ولحم أكله، وإن حضر فاكهة

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه البخاري، ومسلم.
(٤) متفق عليه.

وخبز ولحم أكله، وإن حضر تمر وحده أو خبز وحده أكله، ولم يكن إذا حضر لونان من الطعام يقول: لا آكل لونين، ولا يمتنع من طعام لما فيه من اللذة والحلاوة، وفي الحديث ﷺ: «**لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

وأمر الله عز وجل بأكل الطيبات والشكر لله فمن حرم الطيبات كان معتديًا، ومن لم يشكر كان مفرطًا مضيعًا لحق الله، وطريق رسول الله ﷺ هي أعدل الطرق وأقومها والانحراف عنها إلى وجهين: قوم يسرفون فيتناولون الشهوات مع إعراضهم عن القيام بالواجبات، وقوم يحرمون الطيبات ويبتدعون رهبانية لم يشرعها الله تعالى، ولا رهبانية في الإسلام.

ثم قال رحمه الله: وكل حلال طيب، وكل طيب حلال فإن الله عز وجل أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، لكن جهة طيبه كونه نافعًا لذيذًا، والله حرم علينا كل ما يضرنا، وأباح لنا كل ما ينفعنا.

ثم قال رحمه الله: والناس تتنوع أحوالهم في الطعام واللباس والجوع والشبع، والشخص الواحد يتنوع حاله، ولكن خير الأعمال ما كان لله أطوع، ولصاحبه أنفع[(١)].

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/٣١٠ باختصار.

الذب عن أعراض الآخرين

أكرم المجالس مجالس العلم والذكر، فما بالك إذا توسط صفوة ولد آدم ومعلم الأمة بحديثه وتعليمه وتوجيهه؟ كان من صفاء مجلسه ونقاء سريرته عليه الصلاة والسلام أن يرد المخطئ ويعلم الجاهل وينبه الغافل ولا يقبل في مجلسه إلا كل خير، وإن كان ﷺ مستمعًا منصتًا لمحدثه إلا أنه لا يقبل غيبة ولا يرضى بنميمة ولا بهتان ولذا فهو يرد عن أعراض الآخرين.

عن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ يصلي فقال: «**أين مالك بن الدخشم**»؟ فقال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ولا رسوله، فقال النبي ﷺ: «**لا تفعل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله، وإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[(١)].

وكان ﷺ يحذر من شهادة الزور واقتطاع الحقوق، عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وكان متكئًا فجلس فقال: «**ألا وقول الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»[(٢)].

ومع محبته لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلا أنه أنكر

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

عليها الغيبة، وأوضح لها عظم خطرها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا، قال بعض الرواة: تعني قصرها، فقالت: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»[1].

وقد بشر النبي ﷺ من يذب عن أعراض إخوانه فقال ﷺ: «**من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقًا على الله أن يعتقه من النار**»[2].

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أحمد.

كثرة ذكر الله تعالى

للمربي الأول نبي هذه الأمة شأن عظيم مع العبادة ومواصلة القلب بالله عز وجل، فهو لا يدع وقتًا يمر دون ذكر لله عز وجل وحمده وشكره والاستغفار والإنابة، ومع أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فهو العبد الشكور والنبي الشاكر والرسول الحامد، عرف قدر ربه فحمده ودعاه وأناب إليه وعلم قيمة زمنه فاستفاد منه وحرص أن يكون عامرًا بالطاعة والعبادة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**»(٢).

قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة «**رب اغفر لي، وتب علي إنك أنت**

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه البخاري.

التواب الرحيم»[1].

وتقول أم المؤمنين أم سلمة عن أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندها: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[2].

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

الجار

أكرم به جوار رسول الله ﷺ فقد كان الجار له مترلة عظيمة في نفس الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»(١).

وأوصى ﷺ أبا ذر رضي الله عنه بقوله: «**يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**»(٢).

وحذر من أذية الجار فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»(٣).

وهنيئًا لجار قال عنه النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره**»(٤).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) وراه مسلم، البوائق: الغوائل والشرور.
(٤) رواه مسلم.

حسن المعاشرة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام كذا وكذا؟**»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً دخل على رسول الله ﷺ وعليه أثر صفرة، وكان رسول الله ﷺ قل ما يواجه رجلاً في وجهه شيء يكرهه، فلما خرج قال: "**لو أمرتم هذا أن يغسل ذا عنه**»[(٢)].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ ترحم على كل قريب هين لين سهل**»[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود وأحمد.

(٣) رواه الترمذي.

أداء الحقوق

الحقوق على الإنسان كثيرة، فهذا حق لله وآخر للأهل وثالث للنفس وهناك حقوق للعباد فكيف يا ترى قسم الرسول ﷺ وقته واستفاد من يومه؟

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(١)].

(١) متفق عليه.

شجاعته وصبره ﷺ

لرسول الله ﷺ السهم الوافر والقدح المعلى في الشجاعة نصرة لهذا الدين وإعلاء لكلمة الله عز وجل، وجعل ما أنعم الله عليه من نعم في مكانها الصحيح فهذه عائشة رضي الله عنها تقول: «**ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادمًا ولا امرأة**»[1].

ومن شجاعته ﷺ وقوفه وحيدًا يدعو لهذا الدين أمام كفار قريش وصناديدها وثباته على هذا الدين حتى نصره الله ولم يقل ليس معي أحد، والقوم كلهم ضدي، بل اعتمد على الله عز وجل واتكل عليه وصدع بأمر الدعوة، وكان ﷺ أشجع الناس وأمضاهم عزمًا وإقدامًا، كان الناس يفرون وهو ثابت.

كان النبي ﷺ يتعبد في غار حراء ولم ينله أذى ولم تحاربه قريش ولم ترم أمم الكفر بسهم واحد من كنانتها إلا عندما صدع رسول الله ﷺ بأمر التوحيد ووجوب إفراد العبادة لله عز وجل وتعجب الكفار بقولهم: **﴿أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾** فهم يتخذون الأوثان وسائط بينهم وبين الله عزوجل كما قال تعالى عنهم: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾** وإلا فهم مقرون بتوحيد الربوبية **﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**.

---

(١) رواه مسلم.

وتأمل أخي المسلم في الشرك الذي عم وطم في بلاد المسلمين من دعاء الأموات والتوسل بهم والنذر لهم والخوف والرجاء حتى تقطعت حبالهم مع الله عز وجل بسبب شركهم وإنزال الأموات مترلة الحي الذي لا يموت ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.

ونطل من بيته إلى الجبل المقابل من الجهة الشمالية: إنه جبل أحد حيث الموقعة العظيمة التي تبدت فيها شجاعة الرسول ﷺ وثباته وصبره على الجراح التي أصابته في تلك الموقعة العظيمة حيث أدمي وجهه الشريف وكسرت رباعيته وشج رأسه عليه الصلاة والسلام.

يحدثنا سهل بن سعد رضي الله عنه عن جرح رسول الله ﷺ فيقول: «أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ، ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعًا من حصير وأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم وكسرت رباعيته وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه»[(١)].

والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يقول عن رسول الله ﷺ في معركة حنين: لما انطلق المسلمون مدبرين طفق رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري.

يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع، وكان يقول حينئذ: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»[(١)].

أما الفارس الشجاع صاحب المواقف المشهورة والوقائع المعروفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو يقول عن رسول الله ﷺ: «كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه»[(٢)].

ولصبر الرسول ﷺ في أمر الدعوة مضرب المثل والقدوة الحسنة، حتى أقام الله عز وجل صروح هذا الدين وطفقت خيله تجول الجزيرة وبلاد الشام وما وراء النهر، وحتى لا يدع بيت مدر ولا وبر إلا دخله.

قال رسول الله ﷺ: «**لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليل وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواري إبط بلال**»[(٣)].

ورغم ما ورد إليه من الأموال والغنائم وما فتح الله على يديه فإنه ﷺ لم يورث دينارًا ولا درهمًا إنما ورث هذا العلم وهو ميراث

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البغوي في شرح السنة، وانظر صحيح مسلم ١٤٠١/٣.
(٣) رواه الترمذي وأحمد.

النبوة فمن شاء أن يأخذ من هذا الميراث فليقدم وليهنأ به من ميراث.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا، ولا شاةً، ولا بعيرًا، ولا أوصى بشيء**»[(١)].

***

(١) رواه مسلم.

دعاؤه ﷺ

الدعاء عبادة عظيمة لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل، والدعاء إظهار الافتقار إلى الله والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه ولذلك قال الرسول ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[1].

وكان عليه الصلاة والسلام كثير الدعاء والتضرع وإظهار الافتقار إلى الله عز وجل يستحب جوامع الكلم والدعاء.

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمر، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليه معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر**»[2].

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام: «**اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفس سوءاً أو أجره إلى مسلم**»[3].

وأيضًا من دعائه ﷺ: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك**

---

(١) رواه الترمذي

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود.

وأغنني بفضلك عمن سواك »[١].

ومن دعائه لربه عز وجل: «**اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى**»[٢].

وكان عليه الصلاة والسلام يدعو ربه كثيرًا في الرخاء والشدة وقد سقط رداءه من على منكبيه وهو يدعو يوم بدر بالنصر للمسلمين والهزيمة للمشركين، وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لنفسه ولأهل بيته ولأصحابه ولعامة المسلمين.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) متفق عليه.

نهاية الزيارة

بعد أن تعطرت الأسماع بذكر أحاديث الرسول ﷺ وحسن سيرته وجهاده وبلائه، فإن للنبي الكريم ﷺ حقوقًا يجب أن تؤدى له حتى نكون أتممنا الخير وأخذنا الطريق السوي، ومن حقوقه على أمته..:

الإيمان الصادق به قولاً وفعلاً وتصديقه في كل ما جاء به ﷺ ووجوب طاعته والحذر من معصيته ﷺ، ووجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه، وإنزاله منزلته ﷺ بلا غلو ولا تقصير، واتباعه واتخاذه قدوة وأسوة في جميع الأمور، ومحبته أكثر من الناس والأهل والمال والولد والناس جميعًا، واحترامه وتوقيره ونصرة دينه والذب عن سنته ﷺ وإحياؤها بين المسلمين ومحبة أصحابه الكرام والترضي عنهم والذب عنهم وقراءة سيرهم، ومن محبته ﷺ الصلاة عليه، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** لقوله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه: خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ**» فقال رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يعني بليت، قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[(١)].

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

وعلى أمة محمد ﷺ أن لا تكون بخيلة في حق هذا النبي الكريم فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ**»[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليه ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**»[(٢)].

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

الوداع

ونحن نغادر هذا البيت العامر بالإيمان القائم على الطاعة، تبقى لنا سنة رسول الله ﷺ معلمًا لمن أراد النجاة وطريقًا لمن أراد الهداية، ولنا وقفات مع علماء السلف وحرصهم على الاتباع لهذه السنة العظيمة، لعل الله أن يرزقنا حسن التأسي وجميل الاقتداء.

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: ما كتبت حديثًا إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا، فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت(١).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: سمعت سفيان يقول:ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط إلا عملت به ولو مرة.

وعن مسلم بن يسار قال: إني لأصلي في نعلي وخلعهما أهون علي، وما أطالب بذلك إلا السنة(٢).

وللأخ الحبيب في الختام حديث عظيم، قال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»(٣).

اللهم ارزقنا حب نبيك ﷺ وموافقته على الطريق المستقيم، لا ضالين ولا مضلين اللهم صل على محمد ما تعاقب الليل والنهار،

---

(١) السير ٢١٣/١١.
(٢) السير ٢٤٢/٧، كتاب الزهد للإمام أحمد ص ٣٥٥.
(٣) رواه البخاري.

اللهم صل على محمد ما ذكره الذاكرون الأبرار، اللهم اجمعنا مع نبينا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى وأقر أعيننا برؤيته والشرب من حوضه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفهرس